القَــدرِ
وأثــره في حياة المسلمين

د. عبد الرحمن عبد الله سليمان الأغبري
أستاذ الدعوة المساعد - كلية العلوم الإنسانية - جامعة العلوم والتكنولوجيا - اليمن

ملخص البحث

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تجلية أمر القدر لعموم الناس، والتذكير بمعنى التوكل، كعلاج حيوي لهم في الحياة كافة، من أرزاق وآجال، وشقاء وسعادة، وربط ذلك كله بعالم الأسباب، وعدم الاتكال على ما قد قدر وجفّ به القلم.

ثم التذكير بمنهج سلف الأمة العظام وخاصة الصحابة الكرام، الذين ضحوا وبذلوا الغالي والنفيس من أجل نشر هذا العلم بين الأمم، فلم يتكلوا على ما كتب الله في القدر.

وإسهاماً منا في إنتشال هذه الأمة من واقعها الأليم وسباتها العميق، لتعمل بالأسباب، وتحي سنة التوكل، مستعينة بالله وحدة، فلا تقف عاجزة أمام الأمم بحجة ما كتب في القدر.

أهمية البحث:

تنبثق أهمية الموضوع من الرد على الذين أقعدهم تواكلهم عن حقيقة التوكل والعمل بالأسباب، فاتكلوا على القدر، وعلى ما جفّ به القلم وإبراز معنى القدر، ومفهومه، وكيف يجب على الأمة أن تدفع أسباب الضعف والخور بأقدار الله، والعمل بالأسباب وفق السنن الكونية.

ومن هنا اختار الباحث هذا الموضوع المهم إسهاماً في نشر الوعي بين الناس وإدراكاً منه لحقيقة هذا الموضوع وأهميته.

فكان عنوان البحث:

القدر مراتبه وأقسامه، وأثرهما في حياة المسلمين

وقد اشتمل على مقدمة وثلاث مباحث:

المبحث الأول: تعريف القدر وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف القدر لغة.
- المطلب الثاني: تعريف القدر في القرآن.
- المطلب الثالث: تعريف القدر في السنة.
- المطلب الرابع: تعريف القدر اصطلاحاً.
- المطلب: الخامس: أهمية الإيمان بالقدر.
- المطلب السادس: معنى الإيمان بالقدر.

المبحث الثاني: رد الاحتجاج بالقدر وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: رد الاحتجاج على المعاصي بالقدر من القرآن.
- المطلب الثاني: رد الاحتجاج على المعاصي بالقدر من السنة.

المبحث الثالث: مراتب القدر وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: المرتبة الأولى (العلم).
- المطلب الثاني: المرتبة الثانية (الكتابة).
- المطلب الثالث: المرتبة الثالثة (المشيئة).
- المطلب الرابع: المرتبة الرابعة (الخلق).

المبحث الرابع: أقسام القدر وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: التقدير العام. - المطلب الثاني: التقدير البشري.
- المطلب الثالث: التقدير العمري. - المطلب الرابع: التقدير السنوي.
- المطلب الخامس: التقدير اليومي.

المبحث الخامس: أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلمين.

ثم الخاتمة والتي اشتملت على نتائج ثمرات القدر.

مقدمـــة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمد عبده ورسوله أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبة ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــد:

فلما كان بحث مسألة القضاء والقدر من المزالق الخطرة في الدين، ومن الأمور التي قد تهوي بالمرء إلى الزلل، ولما كان المسلمون قد خاضوا فيها خوضاً عميقاً، وذلك على مر التاريخ الإسلامي، وتحديداً بعد أن دبَّ إلى الأمة الإسلامية داءٌ الأمم، فاتبعت سننهم وسلكت سبلهم ونهلت من مشاربهم حتى اختلطت عقائدهم بعقيدتها الصافية، فأوردهم هذا الخوض المهالك، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، فضعفت بذلك قوتهم، وانكسرت شوكتهم، وتكالبت عليهم الأمم

لما كان الأمر كذلك، بات من أوجب الواجبات على المسلمين أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم، ويعملوا جميعاً وبأقصى ما يملكون للم شمل الأمة وجمع شتاتها، ورأب صدعها، والأخذ بيدها إلى جادة الصواب، وتذكيرها بما من شأنه أن يعيد لها ماضيها التليد، وكرامتها المستمدة من كرامة دينها المجيد، ويجدد لها سؤددها ويرفع لواءها ويضيء لها طريقها، ويذكرها بأسباب العزة والمجد والريادة والسيادة.

وتحقيقاً لبعض هذا الواجب، ومن منطلق المسؤولية الملقاة على عاتق كل مسلم، فإني أرى أن إيضاح مسألة القدر ومراتبه وأقسامه، وبيان ما يمكن الاحتجاج به وما لا يمكن هي من أهم وأعظم مسائل العقيدة أمر في غاية الأهمية وضرورة ملحة، لانتشال هذه الأمة من واقعها المشين، وإيقاظها من سباتها المريب، وتذكيرها بمهمتها العظيمة، لتبليغ هذا الدين، وإن أفضل ما يكون هذا الإيضاح، بالرجوع بها إلى فهم سلف الأمة وقادتها - الصحابة الكرام - حيث كانوا - ﷺ - أحسن الناس لها فهماً، وأعرفهم بها علماً، وأعظمهم بها إلماماً، ولم يتأثروا بالأغاليط ولا بالفلسفات القديمة.

ومن هنا حملوا لواء الدعوة الإسلامية ونشروها في أرجاء المعمورة، وتحملوا من أجلها أشد العناء واجتازوا أصعب العقبات، فحققوا أروع الانتصارات في أحلك الظروف وأسوئها، في معارك غير متكافئة مع الأعداء، غير عابئين بما يواجههم ولا مباليين بما يعترض طريقهم من عناء ومشقة، مؤمنين بأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وبأنه لن تموت نفس إلا وقد استوفت رزقها وأجلها وأن ما من مصيبة في الأرض ولا حدث ولا خبر إلا وقد جف القلم في سابق علم الله به.

فأخذوا - ﷺ - بالأسباب التي أوصلتهم إلى أسمى الأهداف وأعلى الغايات فحقق الله ما أرادوا، ونالوا بذلك ما تمنوا.

المبحث الأول: تعريف القدر:

المطلب الأول: القدر في اللغة:

القدر في اللغة مصدر قَدَرَ يقدِر، وقال ابن فارس (قَدَرَ: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر مبلغ كل شيء، يقال قدره كذا أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقدرت الشيء أقدره وأقدر من التقدير)[1].

وقدر الله ذلك عليه يَقَدَر، ويقَدرٌ قدراً وقَدَرَاً وقدّره عليه وله ومنه قول الشاعر:

من أيِّ يوميّ من الموت أفر أَيَومَ لم يُقْدَرَ أَمْ يومَ قُدِرْ؟[2]

وتقدير الله الخلق تسييره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة والشقاء، وذلك أنه علم منهم قبل خلقه إياهم، فكتب علمه الأزلي السابق فيهم وقدّره تقديراً وقدر الله عليه ذلك يَقْدُرُه ويَقْدِرُه قَدْراً وقَدَراً وقَدَّره عليه وله[3].

وجاءت مادة القدر بمعنى القضاء ويحكم به من الأمور[4] قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. أي في ليلة الحكم[5]، وكذلك قوله تعالى:

(١) معجم مقاييس اللغة، كتاب القاف وباب القاف والدال، وابن الأثير النهاية في تقريب الحديث.

(٢) إبن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت ط٣/ ١٤١٤ - ١٩٩٤. باب الراء وفصل القاف ج٥، الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط٣/١٤١٣ - ١٩٩٣م باب الراء فصل القاف. صـ ٥٩١.

(٣) لسان العرب القاموس المحيط، الباب والفصل نفساهما.

(٤) المرجعان نفسهما، الصفحات نفسها.

(٥) الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الجديدة المصححة دار ابن رشد دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب/ دمشق بيروت ط١/١٤١٤ - ١٩٩٤ ج٥/ صـ ٥٧٥.

﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤] أي في ليلة القدر يفصل كل أمرٍ محكم لا يبدل ولا يغير(٦).

وجاءت بمعنى العلم، قال تعالى: ﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [الحجر: ٦٠] أي علمنا أنها لمن الغابرين كما قال الزجاج أي قد سبق علمه في الأزل مع تحتم إنجازه وتحقق وقوعه(٧) وجاءت بمعنى السؤال والطلب يقال: استقدر الله خيراً أي سأله أن يقدر له به، قال:

فاستقدرنَّ الله خيراً وارضينَّ به فبينما العسر إذا دارت مياسير

وفي حديث الاستخارة: اللهم إني أستقدرك بقدرتك، أي: أطلب منك أن تجعل لي عليه قدره(٨).

وجاءت بمعنى الوعد والميقات قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٠] أي على موعد(٩).

---

(٦) ابن كثير إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم الإمام الحافظ أبو الغراء دار الأندلس - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط١ ١٤٢١هـ - ١٩٩٣م ج٤/ صـ ١٤٠.

(٧) لسان العرب، ج٥، صـ٧٥، مرجع سابق والفيروز أبادي القاموس المحيط باب الراء فصل القاف مرجع سابق، قنبس عبدالحليم محمد، العك خالد عبدالرحمن، مسألة القضاء والقدر نشأتها لدى الفلاسفة المتكلمين بحثها على مقتضى نهج السلف، دار الكتاب العربي، دمشق ط٢/ ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، صـ٨١.

(٨) أبن متطور في لسان العرب ج٥ صـ ٧٦، والحديث في البخاري من رواية جابر بن عبدالله ﷺ قال كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها فالسورة من القرآن: إذا هم احدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: (اللهم إن أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فظلك العظيم..... الحديث في كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة رقم الحديث (٦٢٨٢) وفتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام إبن حجر العسقلاني ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي وإخراج وتصحيح مجد الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢/ ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، ج١١ رقم الحديث (٦٢٨٢) صـ١٨٧.

(٩) إبن كثير ج٢/ صـ ١٤٩، وفتح القدير ج٣/ صـ ٤٣٤، القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن الكريم تفسير القرطبي، تحقيق عبدالرزاق المهدي والكتاب العربي بيروت ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م صـ ١٨٠.

وجاءت بمعنى القدرة والطاقة قال تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] أي طاقته كما قال الأخفش(١٠).

وجاء بمعنى التضييق، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢] أي ويضيق(١١).

المطلب الثاني: القدر في القرآن:

وأما القدر في القرآن فقد جاء على معانٍ كثيرة:

منها ما مر آنفاً ومنها: المقدار والقسمة قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١] وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقعة: ٦٠]، ومنها تأتي بمعنى قَدَّر وقضى كما في قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر: ١٢] أي على أمر قد علم في سابق علم الله سبحانه وتعالى(١٢)، وتأتي بمعنى التهيؤ لما يصلح ما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] أي قدر كل شيء بما خلق بحكمته على ما أراد، وهيأه لما يصلح له(١٣).

وتأتي بمعنى جعل كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يس: ٣٩]، وتأتي بمعنى الحتم والأمر الذي لا محيد عنه ولا محالة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٨] فمقدوراً هنا حتمي الوقوع والإنجاز(١٤).

---

(١٠) عن مسألة القضاء والقدر صـ٨١، مرجع سابق.

(١١) الشوكاني، فتح القدير ج٤/ صـ٢٤٣، مرجع سابق.

(١٢) الشوكاني، الفتح ج٥/ صـ١٤٨، مرجع سابق.

(١٣) الشوكاني الفتح ج٤/صـ٧١، مرجع سابق.

(١٤) مسألة القضاء والقدر صـ ٨٦ مرجع سابق.

المطلب الثالث: القدر في السنة:

وأما في السنة فقد ورد فيها أحاديث كثيرة: منها ما يبين وجوب الإيمان بالقدر كحديث جبريل المشهور، حين جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله: ما الإيمان؟ قال رسول الله ﷺ: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه، ورسله وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله)[١٥].

ومنها ما يبين أن القدر في علم الله الأزلي، وأنه لابد من تحققه وإيجاده كما قدر الله سبحانه: كحديث عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى الأبد)[١٦].

ومنها حديث عبادة بن الصامت الذي رواه أبو داود في سننه باب القدر قال: سمعت رسول الله صلى الله ﷺ يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب فقال: رب وماذا أكتب قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة... الحديث. وفي رواية أخرى من طريق آخر، قال: يا رب وماذا أكتب، قال: القدر)[١٧].

وحديث حجاج آدم وموسى عليهما السلام في صحيح مسلم وفي آخره: (.... يقول آدم لموسى عليه السلام فلم تلوموني في شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي قال

---

(١٥) الإمام محي الدين النووي في المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيخاً دار المعرفة جدة، ط١/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ج١/ صـ ١٨٨.

(١٦) أحمد بن حنبل في كتاب المسند، دار الحديث القاهرة، ط١/١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج١٦ مسند عبادة بن الصامت رقم الحديث (٢٢٦٠٤)، أبو داوود السجستاني الأزدي كتاب السنن، دار الجيل، بيروت، ط١/١٤١٢هـ - ١٩٩٣م كتاب السنة، باب القدر رقم الحديث (٤٧٠٠). وهو عند الترمذي في باب القدر وكذا حديث عبدالله بن مسعود الذي رواه الترمذي أيضاً وحسنه وجاء في آخره (إن الله خلق كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصائبها)، وحديث جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من لله تعالى، وحتى يعمل أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن يصيبه) رواه الترمذي في باب الإيمان بالقدر.

(١٧) رواه أبو داود في سننه، باب القدر.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحج آدم موسى)[١٨]. فسلم بذلك موسى عليه السلام للقدر والربوبية تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١].

ومنها حديث عند الإمام مسلم عن علي بن أبي طالب، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ، فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس، فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: (ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة). قال: فقال رجل: يا رسول الله! أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: (من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى أهل الشقاوة)، فرد رسول الله صلى عليه وآله وسلم بقوله: (لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ثم قرأ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ [الليل: ٥- ١٠][١٩].

وهناك روايات أخرى كثيرة في كتب العقائد والأحاديث تتحدث عن هذا الأمر المهم، فلتنظر في مظانها.

(١٨) رواه مسلم في كتاب القدر باب حجاج موسى وآدم عليهما السلام من رواية أبي هريرة.

(١٩) الحديث من رواية علي بن أبي طالب عند الإمام مسلم في كتاب القدر - باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمة وكتابة رزقه وأحبه وعمله وشقاوته وسعادته، رقم الحديث (٦٦٧٥).

المطلب الرابع: القدر في الاصطلاح:

تعددت تعريفات القدر عند العلماء، فمنهم من عرفه بأخصر عبارة، كالإمام أحمد بن حنبل حينما سئل عن القدر، فقال: "القدر هو قدرة الله"[٢٠]. ومثله الإمام الكرماني عرفه بأنه: "حكم الله"[٢١].

ومنهم من فصل في التعريف فقال القدر: "هو جزئيات الحكم الكلي والإجمالي في الأزل وتفاصيله"[٢٢]. وهذا تعريف يجدر بالمؤمن أن يقف عنده ويتأمله، فهو يوضح أن ما من صغيرة ولا كبيرة في الكون إلا وهي مكتوبة في القدر.

وبما أن القدر يأتي بمعنى التقدير، فقد عرف بـ: "ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه"[٢٣]، وهذا التعريف مستنبط من الأحاديث الواردة في القدر، كحديث عبادة بن الصامت، وحديث حجاج آدم وموسى عليهما السلام في صحيح مسلم، وحديث علي بن أبي طالب.

وقد أورد حسن أيوب في تبسيط الثقافة الإسلامية، تعريفاً للقدر بأنه: "علم الله بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل"، كما عرف القضاء بأنه: "إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته"[٢٤].

---

(٢٠) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن سعيد الدمشقي المعروف، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتقدير، مكتبة الإيمان المنصورة القاهرة، ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٦م صـ٥١، ١٣ على ا لتوالي.

(٢١) الكاتب أحمد عصام عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، دراسة تحليلية شاملة لعقيدة الحافظ كما بسطها في الفتح، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، صـ٢٤٠.. مستخلص من فتح الباري في كتاب القدر.

(٢٢) المرجع نفسه.

(٢٣) العثيمين محمد صالح في شرح العقدية الواسطية لشيخ الإسلام إبن تيمية، خرج أحاديثها سعد بن فواز الصمير، دار ابن الجوزي ط٤/ ١٤١٧هـ ج٢/صـ ١٨٨. وهو من أحسن التعريفات في نظر الباحث.

(٢٤) حسن محمد أيوب، تبسيط الثقافة الإسلامية، مكتبة الثقافة العربية د ط/ ١٣٩١ه ١٩٧١م ص٧٧.

كما اختار السيد سابق تعريفاً واحداً للقدر مع القضاء فذهب إلى أنه: "النظام المحكم الذي وضعه الله تعالى لهذا الوجود، والقوانين العامة والسنن التي ربط بها الأسباب بمسبباتها"(٢٥).

ويتميز هذا التعريف بأنه يوضح أن الحياة مبنية على قوانين وسنن وأسباب ومسببات، وعلى الإنسان أن يعمل بها، ثم يتوكل على الله، وعندما يريد الإنسان أن يصل إلى أمر ما، عليه أن يعمل بهذه القوانين، ولا بد أن نعلم أن هذه القوانين لم تخرق أبداً لأحد إلا للأنبياء، وذلك لتأييدهم الرباني بالمعجزات التي تبين صدقهم، وتظهر حقيقة نبوتهم، أو ككرامات لبعض أولياء الله إكراماً للأمة ومعونة لها عند عجزها، وإلا فإن الحياة عموماً كما أسلفت مبنية على هذه القوانين كما يوضح التعريف.

ويمكننا بعد هذا كله أن نستخلص تعريفاً للقدر بأنه (**ما كتبه القلم من أمر الدنيا والآخرة بأمر الله تعالى قبل خلق الخلائق**).

المطلب الخامس: أهمية الإيمان بالقدر:

تنبثق هذه الأهمية من كون الإيمان بالقدر يعتبر ضرورة ملحة، للمؤمن لما له من المكانة العالية في الدين، فهو في المقام الأول أحد أركان الإيمان، ولا يتم الإيمان إلا به، كما أشارت أحاديث عدة إلى ذلك، منها حديث جبريل، ومنها حديث عبادة بن الصامت المتقدمان، وغيرها من الأحاديث، كما أنه من تمام توحيد الربوبية، لأن قدر الله من أفعاله، وهو موجب لصدق الاعتماد على الله تعالى والتوكل عليه، وتفويض الأمور إليه، مع القيام بالأسباب الصحيحة

(٢٥) السيد سابق العقائد الإسلامية، دار النصر للطباعة ط٢/ ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ص٩٥.

النافعة، وأنه موجب لحصول الطمأنينة للإنسان في حياته كلها، خاصة عندما يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه(٢٦).

كما أن الإيمان بالقدر سبب رئيسي في نفي إعجاب المرء عند تحقيقه أي عمل، وهو كذلك موجب لشكر الله تعالى، إذ المن لله وحده، وما تحقيقه وتوفيقه لهذا العمل إلا فعل للسبب المؤدي إلى حصول المراد(٢٧).

المطلب السادس: معنى الإيمان بالقدر:

إذا كنا قد تطرقنا إلى معنى القدر لغة واصطلاحاً، فماذا يعني الإيمان بالقدر؟

إن الإيمان بالقدر يعني: ما قرره الله سبحانه وتعالى في قوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣]. وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

ويتعلق الإيمان بالقدر بتوحيد الربوبية خصوصاً، كما له تعلق بتوحيد الله في أسمائه وصفاته، ومنها: العلم، والقدرة، والإرادة.

---

(٢٦) العثيمين محمد بن صالح- تقريب التدمرية، تحقيق الاثبات للاسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لشيخ الإسلام إبن تيمية تخريج سعيد بن عباس بن علي الجليمي، مكتبة السنة القاهرة، ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م صـ١٠٤.

(٢٧) المرجع نفسه الصفحة نفسها وانظر ابن القيم الجوزية أبو عبدالله محمد بن أبي بكر وانظر العثيمين محمد بن صالح في شرح العقيدة الواسطة لإبن تيمية، دار الجوزي ط٤/ ١٤١٧هـ - ج٢/صـ١٨٩. وابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين مؤسسة الرسالة ط٥/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ج٢/صـ٥٩٨ وما بعدها، العثيمين محمد بن صالح في القول المفيد لمحمد بن عبدالوهاب الجوزي السعودية ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ج٣/صـ٢١٤.

إن أساس الإيمان بالقدر هو: ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

وعليه فيجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره[٢٨] من الله تعالى، وكل ما جاء من عند الله هو خير، فالشر في القدر: هو ما لا يلائم طبيعة الإنسان، بحيث يحصل له به أذية أو ضرر، فعندئذٍ الشر هنا ليس باعتبار تقدير الله له، ولكنه باعتبار المقدور له.

وأما الخير في القدر: هو ما يلائم طبيعة الإنسان، ويحصل له به سرور أو ارتياح، وكل ذلك من الله عز وجل.[٢٩]

كما يقصد بالإيمان بالقدر: أي الإيمان بعلم الله القديم، ومشيئته النافذة، وقدرته الشاملة.

فعلم الله القديم هو علم الله الأزلي، وعلم جميع أحوال الخلق بما فيها الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

وأما المشيئة النافذة والقدرة الشاملة فإن المراد بهما: هو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن[٣٠]، كما سيأتي مفصلاً في مراتب القدر.

(٢٨) د.محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه، وحقيقته، ونواقضه، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بدون ط صـ١٠٩.

(٢٩) العثيمين الشيخ محمد بن صالح، شرح العقيدة الواسطية، ١٩١/٢.

(٣٠) د. محمد نعيم ياسين، الإيمان، صـ١١٠.

المبحث الثاني: الاحتجاج بالقدر:

وبعد بيان معاني القدر وأهميته، قد تواجهنا عدة تساؤلات وهي لا زالت مثار جدل بين الناس في القديم والوقت الحاضر، وخاصة بين العوام منها:

- هل يمكن الاحتجاج بالقدر على ارتكاب المحرمات (النواهي)، وترك الواجبات (الأوامر)؟
- ما الذي يمكن أن يندرج من أفعال الإنسان ضمن القضاء والقدر؟ وما الذي يدخل تحت الأحكام الشرعية التكليفية (الأوامر والنواهي) التي يجب على الإنسان العمل بها، سواءً كان أمراً أو نهياً.
- هل يدرك الإنسان حقيقة فعله، أهو نافع له أم ضار؟
- هل يفكر الإنسان عند القيام بفعل ما؟ أم يفعله من غير شعور؟ أو بمعنى آخر هل يملك الإنسان إرادة، وحرية، وتفكيرا؟ أم أنه هباءة في مهب الريح لا يملك لنفسه شيئاً أمام القدر؟

للإجابة عن هذه التساؤلات: أسوق بين يدي القارئ نموذجين من آيات القرآن الكريم جاء فيها الرد على المشركين، ونموذجين من السنة النبوية المطهرة.

المطلب الأول: رد الاحتجاج على المعاصي بالقدر من القرآن:

لقد أبطل القرآن حجج المشركين الذين احتجوا بقدر الله على شركهم، وأن الله لو لم يشأ لهم الشرك ما وقع ذلك منهم، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فكان الجواب سريعاً في نفس الآية، حيث أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يرد عليهم، فيقيم عليهم الحجة: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام: ١٤٨- ١٤٩].

وبمثل هذه الحجة البالغة أجاب سبحانه وتعالى على المتذرعين بالقدر على فعل الفواحش، وارتكاب المنكرات، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨- ٢٩]، ففي هذين الجوابين بيان جلي وواضح من الله تعالى أن المطلوب تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وليس المطلوب البحث عن الغيب المكنون، فإنهم يملكون بما هيأ الله تعالى فيهم من قدرة، وإرادة، وحرية، وتفكير، أن يعملوا بما كلفوا به من أوامر ونواهٍ، ولا يملكون أن يعلموا شيئاً مما قد غيب عنهم من الغيب في اللوح المحفوظ.

فلماذا يكلف الإنسان نفسه مالا يطيق، وقد قال تعالى: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فهذا هو نطاق التكليف، وليس ما خرج عن السمع والبصر والفؤاد، وكل الأوامر والنواهي هي ضمن مقدور الإنسان واستطاعته ووسعه.

المطلب الثاني: رد الاحتجاج على المعاصي بالقدر من السنة:

أما السنة فهي مليئة بالأحاديث التي تجلي هذا الأمر وتوضحه بأبسط أسلوب وأسهل عبارة، فقد ورد على سبيل المثال في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان).

للتعليق على هذا الحديث، فقد ساق ابن القيم في كتابه "شفاء العليل" كلاماً نفيساً فقال: "تضمن هذا الحديث أصولاً عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، إلى أن قال: ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل بعضهم أكثر من بعض، ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، أي بذل السبب، والعمل بالأسباب، فإذا صادف ما ينتفع به هذا الحريص الآخذ بالأسباب كان حرصه محموداً، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين أن يكون حريصاً، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على مالا ينفعه أو فعل ما ينفعه بغير حرص فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع، ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]".[٣١]

ونوه ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث إلى أن الحرص على المنفعة لا تتم إلا بمعونة الله وعليه فلا بد من الاستعانة به سبحانه وتعالى، فقال: "فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فأمره بأن يعبده وأن يستعين به"[٣٢]، وأضاف ابن القيم في معرض شرحه للحديث في قوله "ولا تعجز" فقال:

(٣١) شفاء العليل صـ٣٤.

(٣٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

"إن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله الذي بيده أزِمَة الأمور ومصدرها منه ومردها إليه"(٣٣).

ولنفترض أنه فاته ما لم يقدر عليه، فإنه وبحسب توجيه الحديث له حالتان:

الأولى: حالة عجز، وهي مفتاح عمل الشيطان، فنهي عن قوله "لو" إذ لا فائدة منها في هذه الحالة، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان.

الثانية: حالة النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، وهنا لم يبق له إلا شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت هذه المشيئة امتنع وجود المقدور، ولهذا قال ﷺ: (وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل).

فأرشده في الحالتين كلتيهما إلى ما ينفعه، سواءً حصل مطلوبه أو فاته ذلك المطلوب.

وقد يحتج بعض الناس إما جهلاً منهم أو تعمداً بالقدر على إبطال أمر الله ونهيه أي على إبطال قدر الله الشرعي الذي كلف به العباد مستدلين بحديث حجاج آدم لموسى، فقد نرى من الناس من يرتكب معصية فيأتي أمراً محرماً، ويقول: هذا قدر مكتوب، أو قد نراه يترك واجباً ويقول أيضاً: هذا قدر مكتوب، أو بعبارة أخرى قد يترك العمل بالأسباب فيقف عاجزاً ولا يبذل أي جهد ثم يحتج بالقدر ويقول: هذا قدري، منتظراً للرزق ليأتي إليه وهو في بيته، فهل يقبل العقل مثل هذا التصرف؟ وهل يوافق الشرع على هكذا تصرف.

ولتجلية هذه القضية وتفنيد هذه الشبهة، نرجع إلى الحديث، ولنحلل ألفاظه مستدلين بأقوال أهل العلم في القضية.

---

(٣٣) المرجع نفسه، بشيء من التصرف، صـ٣٥.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي ﷺ: فحاجّ آدم موسى، فحاجّ آدم موسى، فحاجّ آدم موسى)[٣٤].

لقد حج آدم موسى كما أشار إلى ذلك الحديث بوضوح، فما الذي جعل آدم يحج موسى؟ وكيف ظهرت حجته؟

ظهرت حجة آدم بوضوح حينما احتج بالقدر على المصيبة التي أصابته، فقال لموسى: أتلومني يا موسى على مصيبة نالتني وذريتي بسبب خطيئتي التي كانت مكتوبة علي بقدر الله قبل خلقي بكذا وكذا، وهنا لا بأس بالاحتجاج بالقدر في المصائب، ولا شيء في هذا الاحتجاج خاصة بعد وقوعه والتوبة منه، وهذا في الحقيقة من التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته وذكرها في هذا الوقت ينتفع به الذاكر والسامع حيث رد آدم عليه السلام الأمر إلى ربه الذي بيده تدبير الأمور وتصريفها، لأنه لم يدفع بالاحتجاج بالقدر أمراً ولا نهياً، ولم يبطل به شريعةً، بل أخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة.

فظهر بذلك حسن احتجاج آدم، وظهرت حجته قويةً واضحةً، ومنه نستخلص أن الإنسان إذا أذنب ذنباً ثم تاب منه توبة نصوحاً فلا ينبغي أن يؤنب على ذنبه أو يلام بعد توبته منه.

أما أن يحتج الإنسان بالقدر في الوقت الذي يرتكب فيه فعلاً محرماً، أو يترك أمراً واجباً، فهذا الاحتجاج مردود على صاحبه شرعاً وعقلاً، إذ أنه يرد بهذا الاحتجاج أمر الله ونهيه ويعمل على إبطال شريعته بحجة داحضة مردودة.

---

(٣٤) البخاري كتاب القدر باب تحاجّ آدم وموسى عند الله، ومسلم في كتاب القدر باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

والخلاصة أن الاحتجاج بالقدر يصح بعد أن يرتفع اللوم ويتوب صاحب الذنب، وأما أن يحتج بالقدر في الحالة التي يرتكب فيها جرماً أو معصية فهذا أمر مردود[٣٥].

وكذلك لا بأس بالاحتجاج بالقدر في كل ما لا يقدر الانسان على دفعه، ويحصل منه أو عليه جبراً عنه، كما لو سقط شخص من شاهق على آخر فقتله، أوكأن يطلق إنسان النار على صيد فأصاب إنساناً آخر فقتله، أو تدهورت سيارة، أو سقطت طائرة، أو غرقت سفينة لخلل طارىء لا يمكن تلافيه أصاب السيارة أو الطائرة أو السفينة، إن مثل هذه الحوادث لا يحاسب عليها الإنسان، لأنها خارجة عن سيطرته، وخارجة عن إرادته، وليس له حيلة إلى دفعها، لأنها ليست في وسعه ولا في مقدوره، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [غافر: ٦٨]، وفي سنن الترمذي عن أبي إسحاق عن مطر بن عكامس قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة)، وفي الترمذي أيضاً ورد قول النبي ﷺ، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر)، وفي سنن أبي داود عن الحسن ابن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (.... وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك....)[٣٦].

المبحث الثالث: مراتب القدر:

وبعد أن تبين لنا أهمية الإيمان بالقدر وضرورته، فإنه لابد للمسلم من فهم حقيقة القدر وأركان القدر، أو مراتبه كما هو معلوم لدى علماء المسلمين الذين بينوا هذه الأركان وأطلقوا عليها مراتب القدر.

---

(٣٥) شفاء العليل، صـ٣٤.

(٣٦) مسألة القضاء والقدر مرجع سابق، صـ١٤٢.

ولقد اتبع الإسلام منهج الوسطية فيها كما هو منهجه في كل أمرٍ وجاءت هذه المراتب مبثوثة في الكتب، مبسوطة ومقتضبة، ونحن إذ نشير إليها على جهة الإجمال، بشرح ما خفي منها، إسهاماً في نشر الوعي، وإدراكاً منا أن فهمها سبب في زيادة الإيمان وتثبيت له وهي: العلم - الكتابة - المشيئة - الخلق.

المطلب الأول: مرتبة العلم:

وهي تعني الإيمان الجازم بأن الله علم بعلمه الأزلي الأبدي، كل شيء جملة وتفصيلاً، أولاً وأبداً، ما كان وما يكون من صغير وكبير، وظاهر وباطن، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله وأقواله، أو بأفعال عباده وأقوالهم، وأرزاقهم وآجالهم، وكل ما يتعلق بكل مخلوقاته(٣٧).

فعلمه محيط بما كان وما لم يكن لو كان كيف يكون، وبما سيكون، وبالموجود، وبالمعدوم، وبالممكن، والمستحيل، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة أو أصغر منها في السموات ولا في الأرض. فقد علم سبحانه جميع ما خلق.

(٣٧) الحنفي الدمشقي أبو العز القاضي علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الدطحاوية للإمام أبي جعفر المصري الطحاوي، تخريج شريف عبدالله ومحمد سعيد مع تعليقات أحمد شاكر والألباني والفوزان صالح،دار ابن القيم، القاهرة، ط١/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، صـ١٩٥، والقول المفيد على كتاب التوحيد صـ ٢٠٦ مرجع سابق، تقريب الترمذي صـ٩٥ مرجع سابق، والجبرين عبدالله بن عبدالرحمن في الإرشاد ،شرح لمعة الاعتقاد لابي محمد عبدالرحمن بن أحمد بن قدامة المقدسي تخريج محمد بن أحم المطيع، دار طيبة ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م صـ٢٢٠ المصراتي د/ علي محمد وسيطة القرآن في العقائد بدون ذكر المطبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م صـ ١٧٨ القربي إبراهيم إبراهيم، الباب في شرح العقيدة على القدر السنة والكتاب، دار الإيمان الأسكندرية ودار القمة بدات ذكر الطبعة ٢٠٠٤ صـ٤٧٠.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣] وقال تعالى: ﴿لِّتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٥٩].

تشير الآيات السابقة إلى إثبات العلم لله، وإثبات الكتابة، وأن علمه محيط، وسابق لكل شيء، وغير مسبوق بجهل، ولا ملحوق بنسيان، كما وصف نفسه في القرآن الكريم، حيث قال: ﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢][٣٨].

فعلمه أزلي أبدي كوصفه سبحانه وتعالى. فقد علم سبحانه ويعلم ما يخلق، وما الخلق عاملون من قبل خلقهم ومن بعد خلقهم إلى يوم القيامة، وإلى أبد الآبدين ويجب أن نؤمن بذلك كله إيماناً جازماً كما صرحت الآيات وكذلك الأحاديث التي سنذكر بعضاً منها في المرتبة الثانية (الكتابة).

(٣٨) العثيمين الشيخ محمد بن صالح في تقريب التدمرية للشيخ الإسلام إبن تيمية صـ٩٥ مرجع سابق محمد بن أبي بكر الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية بتخريج أبي عبدالرحمن صلاح بن محمد بن عويضه، مكتبة الإيمان المنصورة ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٦م صـ٥٣، القول المفيد ج٣/صـ٢٠٧، مرجع سابق.

المطلب الثاني: مرتبة الكتابة:

وتعني بهذه المرتبة: الإيمان بأن الله كتب ما سبق في علمه في اللوح المحفوظ، مقادير خلقه حتى تقوم الساعة، فما من شيء كان أو يكون، إلا هو في كتاب مقدر قبل أن يكون.[٣٩] ولهذه المرتبة أدلة كثيرة نورد بعضها:

أدلتها من القرآن:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

فهذه الآية وضحت أن ما من مصيبة في الأرض من قحط أو قلة في الثمار، أو حروب، أو زلازل، أو فيضانات، أو غيرها إلا وقد ذكرت، وكتبت بأمر الله في اللوح المحفوظ، وكذا أي مصيبة في الأنفس عامة، كالأمراض والأوبئة والمنايا المهلكة، إلا في ذلك الكتاب من قبل خلقها، ومن قبل خلق الأرض والسماء، وكل المخلوقات بخمسين ألف سنة[٤٠] كما بينت وشرحت ذلك السنة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

---

(٣٩) العثيمين الشيخ محمد بن صالح تقريب التدمرية صـ٩٥، المصرتي د/ علي وسيطة القرآن وانظر الشيخ العثيمين في شرح العقيدة الواسطة صـ ١٩٨، مرجع سابق وانظر الإشادة شرح لغة الإعتقاد صـ٢٢٠ مرجع سابق.

(٤٠) ابن كثير في تفسير القرآن العظيم سورة الحديد، مرجع سابق وكذا القرطبي مرجع سابق، والسعدي الشيخ عبدالرحمن بن ناصر في تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط٥/١٤٠٧هـ - في تفسير سورة الحديد.

أما في السنة فقد ورد فيها عدة أحاديث منها:

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة)[٤١].

وروى البخاري في صحيحة من حديث عمران بن حصين ﷺ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء)[٤٢].

ومنها ما رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال: أكتب قال: رب ما أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة.)[٤٣].

فهذه الأحاديث وغيرها صريحة بأن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وبأن ما أصاب من مصيبة في عامة أو خاصة إلى وهي في كتاب، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فقد جفت الأقلام وطويت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي هذا كله هداية للمؤمن، وتثبيت لقلبه، ليسلم لله ويستسلم لمقاديره الكونية والشرعية، ويعيش في هذه الدنيا مطيعاً لله، راضياً ومطمئناً في مدلهمات الحياة وخطوبها، فلا يفرح بما آتاه الله فرحاً يخرجه عن الشكر، ولا يحزن لما أصابه حزناً يخرجه عن الصبر، فهو إما في نعمة أو ابتلاء، نعمة يجب

(٤١) أخرجه مسلم في صحيحة في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٤٢) البخاري كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم، رقم الحديث (٧٤١٨)، مرجع سابق.

(٤٣) أخرجه الإمام أحمد وقد سبق تخريجه.

أن يشكر الله عليها، أو ابتلاء يجب أن يصبر عليه، الصبر الجميل الذي يثاب عليه الثواب العظيم، والعطاء الجزيل من الكريم المنان.

المطلب الثالث: مرتبة المشيئة:

وتعني الإيمان بمشيئة الله سبحانه، النافذة في كل شيء، سواء كان مما يتعلق بأفعاله، أو يتعلق بأفعال خلقه، كما تعنى الإيمان بقدرته الشاملة لكل شيء، فما وجد موجود، ولا عدم معدوم، من صغير وكبير، وظاهر وباطن، في السموات والأرض، إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى سواء كان ذلك من فعله تعالى، أو من فعل مخلوقاته(٤٤).

فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا حركة ولا سكون ولا هداية ولا إضلال إلا بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

وأدلة هذه المرتبة كثيرة جداً منها:

قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ [الشورى: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩- ٥٠] وقال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، ومنها قوله

(٤٤) العثيمين في القول المفيد، صـ ٢٠٨ مرجع سابق، البليهي الشيخ صالح بن إبراهيم، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط٣/ ١٤٠٩هـ - ج٢/ صـ ١٩٦.

تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

ومن هذه الأدلة ما جاء مخصصاً في الأسباب القدرية وكقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨].

ومنها الأسباب الشرعية كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥- ١٦]. فكل فعل رتب الله عليه عقاباً أو ثواباً فهو من الأسباب الشرعية باعتبار كونه مطلوباً من العبد أو من الأسباب القدرية باعتبار وقوعه بقضاء الله وقدره.

فهذه الآيات وغيرها تشير إلى أنه لا يمكن أن يكون شيء في الوجود إلا بمشيئته سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد(٤٥).

وهنا وقفة مهمة ينبغي أن نتأملها، طالما نبه إليها العلماء حينما قسموا الإرادة إلى نوعين: إرادة كونية قدرية، وإرادة دينية شرعية.

(٤٥) البليهي، صالح بن إبراهيم عقيدة المسلمين ج٢/ صـ٢٠٣، مرجع سابق.

وهذا يعني أنه لا يمكن أن يكون في ملكه سبحانه إلا ما يريده كوناً وقدراً، أي (الإدارة الكونية)[٤٦].

أما في الإرادة الشرعية: فيمكن أن يكون في الأرض - خاصة بين بني الإنسان المخلوقين للإبتلاء - ما لا يريده شرعاً، كأن يأمرهم بالإيمان فلا يقبلوه، بل يتنكبوا الطريق المستقيم، أي أنهم لا يستجيبون لما يريده الله شرعاً ويحبه لهم من الإيمان، فيكون ما لا يريده الله شرعاً، أي ما لا يحبه لهم من الكفر، ولكن هذا لا يخرج عن إرادته الكونية حينما اقتضت إرادته الكونية أن يخلق هذا الإنسان للامتحان واقتضت إرادته سبحانه أن يخلق الجنة والنار[٤٧].

وهذه المسألة من أخطر المسائل في الاحتجاج بالقدر عند من لا يفرق بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضى. وما لم يعرف الإنسان هذا الأمر فقد يؤدي به إلى الكفر والخروج عن الملة.

ومن هنا قرر العلماء أن الإرادة الكونية تعنى المشيئة والإرادة الشرعية تعنى المحبة فالأولى في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]، والثانية بينتها الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

---

(٤٦) المرجع نفسه والصفحة نفسها، وابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الرازي الدمشقي، تهذيب مدارج السالكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٤١٤/٥هـ ج٢/ صـ٥٨٩ وما بعدها، وانظر المؤلف في شفاء العليل، مرتبة المشيئة، صـ٨٨ مرجع سابق، الكاتب عصام عقيدة التوحيد في فتح الباري صـ٢٦٠، مرجع سابق، البخاري مع الفتح، باب المشيئة والإرادة، الحديث (٧٤٧٩- ٧٤٨٠) كتاب التوحيد.

(٤٧) البليهي صالح بن إبراهيم، ج٢/ صـ٢٠٣، مرجع سابق.

وكقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وعلى هذا فإن الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع. سواء أحبه الله أم لم يحبه ويتعين فيها وقوع المراد: وحين تتعلق الإرادة الشرعية فيما أحبه سواء وقع أم لم يقع لا يتعين فيها وقوع المراد.

هكذا يترفع اللبس عمن يحتج بالقدر وتقوم عليه الحجة، فصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وحين يقول جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ١٦].

المطلب الرابع: مرتبة الخلق:

وتعنى هذه المرتبة الإيمان بأن الله خالق كل شيء من صغير وكبير وظاهر وباطن، فخلقه شامل لأعيان هذه المخلوقات وصفاتها وما يصدر عنها من أقوال وأفعال، وكل ما سوى الله مخلوق موجود من العدم، كائن بعد أن لم يكن(٤٨) وقد دلت على هذه المرتبة الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتفقت عليها الفطر، والعقول السليمة، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

(٤٨) المرجع السابق، الجزء نفسه، صـ٢٠٤، ٢٠٥، والقول المفيد، صـ ٢٠٨، مرجع سابق.

ومن السنة: ما جاء عن حذيفة البعاد عن حذيفة ﷺ قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله يصنع كل صانع وصنعته) وفي رواية (إن الله خلق كل صانع مع صنعته)(٤٩) فأفعال العباد داخله في عموم خلقه تعالى وهي من الله خلقاً وإيجاداً وتقديراً ولكنها من العبد كما يقر العلماء فعلاً وكسباً، فالله هو الخالق لأفعالهم وهم الفاعلون لها. وهذا عين ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه منهاج السنة بقوله: (وأما جمهور أهل السنة المتبعون لسلف الأمة: فيقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، وهو فاعل حقيقة، والله خالق ذلك كله، كما هو خالق كل شي كما دل على ذلك الكتاب والسنة) (٥٠).

وكم هو حسن أن نحيط بهذه المراتب، ولقد أحسن من جمعها في بيت من الشعر فقال:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين(٥١)

المبحث الرابع: أقسام القدر:

وكما أن للقدر مراتب، كذلك له أقسام وردت كلها في القرآن، وقد ذكرها العلماء، ويمكن تلخيصها كمطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول: التقدير العام:

أي تقدير الله لجميع الكائنات أي علمه بها وكتابته لها ومشيئته وخلقه لها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وفي صحيح مسلم أن عبدالله بن عمرو أن النبي صلى الله

(٤٩) رواه البخاري في خلق أفعال العباد، والبيهقي، في كتاب القضاء والقدر، صـ٩٣، مرجع سابق.

(٥٠) ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدا لحليم الحراني الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، دار الآثار، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ج٢/ صـ٦١.

(٥١) القول المفيد، صـ٢٠٩، مرجع سابق.

عليه وآله وسلم قال: (كتب الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)(٥٢).

المطلب الثاني: التقدير البشري:

وهو تقدير الله أهل السعادة وأهل الشقاوة، وذلك حين أخذ الله العهد والميثاق على ذرية بني آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

ومما دل على هذا التقدير ما جاء عن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: (أنبتدئ الأعمال أم قضي القضاء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إن الله عز وجل أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: (هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة يسيرون لعمل أهل الجنة وأهل النار يسيرون لعمل أهل النار)(٥٣).

المطلب الثالث: التقدير العمري:

وقد دل عليه حديث ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يارب: أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما يشاء ويكتب الملك، ثم يقول يارب أجله، فيقضي ربك ما يشاء ويكتب

(٥٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام.

(٥٣) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، والألباني محمد ناصر الدين في صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، حرف الألف والنون، صـ ٣٥٠، والإمام البيهقي، كتاب القضاء والقدر تحقيق أبي إسحاق الثمودي/مجدي بن عطية، مكتبة إبن عباس (أبو أحمد بن الحسين)، بيروت طبعة.... صـ ١٦٤ رقم الحديث (٢٨٤).

الملك، ثم يقول: يارب رزقه، فيقضى ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص)[٥٤].

المطلب الرابع: التقدير السنوي:

ودل عليه ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] قال ابن عباس: (يحكم الله أمر الدنيا إلى قابل في ليلة القدر ما كان من حياة أو موت أو رزق)، قال مجاهد وقتادة والحسن: (يكتب فيها ما يكون من السنة من حياة وموت وبسط وخير وشر وغير ذلك)[٥٥].

وقال ابن عمر: (إلا الشقاء والسعادة فإنهما في كتاب لا يبدل ولا يغير)[٥٦].

وقال المهدوي: (معنى هذا القول أمر الله عز وجل الملائكة بما يكون في ذلك العام ولم يزل ذلك في عمله عز وجل)[٥٧].

المطلب الخامس: ومنه التقدير اليومي:

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] جاء في تفسيرها أنه من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً وأن يعز ويذل ويرفع ويخفض ويعطى ويمنع ويغنى ويفقر ويضحك ويبكي ويميت ويحيى، إلى غير ذلك مما هو مبين ومبسوط في كتب التفسير[٥٨].

---

(٥٤) (متفق عليه واللفظ لمسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمة... وكتابه رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته).

(٥٥) الشوكاني، فتح القدير، ج٤ صـ٦٥٥، مرجع سابق.

(٥٦) المرجع نفسه، الصفحة نفسها، تفسير ابن كثير في تفسير الآية.

(٥٧) الشوكاني وابن كثير والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسير الآية.

(٥٨) ابن القيم في شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل بتخريج آبي عبدالرحمن صلاح عويضه، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، صـ٤٢، الجبرين عبدالله بن عبدالرحمن، الارشاد، شرح لغة الاعتقاد، صـ ٢٢٠، ١٢١مرجع سابق المصراي وعلي محمد في وسطية القرآن في العقائد صـ ١٨٦، مرجع سابق، ومصطفى عبدالعزيز في مقال (وخلق كل شي فقدره تقديراً) محلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي في لندن، العدد (١٢٨) ربيع الآخر ١٤١٩هـ صـ ٨.

المبحث الخامس: أثر الإيمان بالقدر في حياة المسلم

مما لا شك فيه أن الإيمان بالقدر، والفهم الصحيح له والاعتقاد الراسخ كما هو مفهوم أهل السنة والجماعة، يعود على الأفراد والمجتمعات بمنافع وفوائد جمة، نذكر منها ما تيسر على سبيل الإجمال الآتي:

١- الرقي بالعبد نحو الكمال في تمام العبادة.

٢- والاستجابة لله سبحانه وتعالى، والتوحيد الخالص، والتبرؤ من الشرك، وقوة الإيمان وزيادته.

٣- الثقة بالله تعالى، وحسن التوكل عليه في الأمور كلها، مع الأخذ بالأسباب المتاحة له.

٤- الثبات، واحتمال المكاره، مع الشجاعة والإقدام أمام الصعاب التي تعترض طريقه، والجود بالنفس والمال كما وقع ذلك لكثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

٥- تيقن العبد أن الأجل محدود، والرزق مكفول.

٦- كما أن من ثمرات الإيمان بالقدر وأثره على العبد: السير في الأرض لطلب الرزق الحلال، وعدم القعود والتواكل، وبذل الجهد والطاقة في ذلك لحفظ ماء الوجه والتعفف عن السؤال.

٧- تجنب المعاصي والآثام، والعمل بأوامر الله واجتناب نواهيه، وعدم الاتكال على ما كتب في القدر، أو الركون على ما جف به القلم.

كما يتحقق للعبد جملة من العبادات القلبية منها:

- الرضا في جريان الأحكام المنوطة بالقدر على العبد.
- الشكر، والفرح، والصبر، واليقين، والاستسلام لله، والتضرع والافتقار إليه والذل له، والتواضع والخضوع له، والخوف والحذر منه سبحانه وتعالى، والهداية، والكرم، والإخلاص، وإحسان الظن بالله سبحانه وتعالى.

- كما أن الإيمان بالقدر يقضى على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات كالحسد والبغضاء.

ومن آثار الإيمان بالقدر أيضاً:

- عدم الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية.
- وعدم اللجوء إلى المخلوقين، كالسحرة، والكهنة، والعرافين.
- عدم اليأس من انتصار الحق.
- الاستقامة الدائمة التي تحصل للعبد مع علو الهمة.
- معرفة أن الخير كله والحكمة فيما قدره الله تعالى.
- الشعور بالعزة، والقناعة، وسكون القلب، وطمأنينة النفس، وغيرها من الثمرات التي لا يمكن أن نحصيها في هذا البحث المقتضب(٥٩).

(٥٩) وزارة الشؤون الإيلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ط١/ ١٤٢١هـ/ عن موقع الإسلام المكتبة الشاملة الإصدار الثالث المصراتي، وسيطة القرآن، صـ١٨٨، مرجع سباق، وابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢/صـ٥٩٨، مرجع سابق، باعباد أ.د/ علي هود الإسلام عقيدة وشريعة، الفصل الثاني من الكتاب أالنظافة في الإسلام، مكتبة الإرشاد، ط٧/١٤٢٠هـ ١٩٩٩م - ضمن مجموعة من المؤلفين - صـ١٣٦، د/ عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، الأردن، ط١٠/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م صـ١٣٨.

الخاتـــمة:

وتلخيصـاً لمـا تقـدم، وبعـد هـذا التجـوال والتطـواف في ثنايـا هـذا البحـث المتواضع، خلص الباحث إلى النتائج الآتية:

١- أعلا درجات الإيمان وأكملها الإيمان بالقدر.

٢- يجب أن يتضمن الإيمان بالقدر الإيمان بمراتبه وأقسامه وآثاره.

٣- الإيمان بالقدر يفضي إلى ثمرات وآثار إيجابية لا حصر لها.

٤- إن مفهوم الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادة خاصة وتسمى إرادة شرعية، وإرادة عامة تسمى إرادة كونية.

٥- لا يجوز الاحتجاج بالقدر على ارتكاب المحرمات وترك الواجبات.

٦- الإنسان مخير فيما كلف به، وهو لا يخرج عن وسعه وطاقته، وهو مسير فيما وراء ذلك وكل ما سبق يدخل ضمن قدر الله وقدرته.

وأخيراً يوصي الباحث بالآتي:

١- المزيد من البحث في هذا الباب لما فيه من فوائد عظيمة للمسلمين كافة.

٢- تبسيط المفاهيم الاعتقادية، وتوصيلها للناس بأسهل عبارة ممكنة.

٣- الاعتماد في كتابة القضايا العقدية على النبع الصافي والمصدر الأساس هو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: التفسير:

١) ابن كثير إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم الإمام الحافظ أبو الغراء دار الأندلس - مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ط١ ١٤٢١هـ - ١٩٩٣م.

٢) السعدي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر في تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط١٤٠٧/٥هـ.

٣) الشوكاني محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الجديدة المصححة دار ابن رشد دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب/ دمشق بيروت ط١٤١٤/١ - ١٩٩٤.

٤) القرطبي أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري الجامع لأحكام القرآن الكريم تفسير القرطبي، تحقيق عبد الرزاق المهدي والكتاب العربي بيروت ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

ثالثاً: الحديث:

١) السجستاني أبو داوود الأزدي كتاب السنن، دار الجيل، بيروت، ط١٤١٢/١هـ ١٩٩٣م.

٢) العسقلاني ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي وإخراج وتصحيح مجد الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢/ ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.

٣) الكاتب أحمد عصام عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني، دراسة تحليلية شاملة لعقيدة الحافظ كما بسطها في الفتح، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١٤٠٣/١هـ - ١٩٨٣م.

٤) النووي الإمام محي الدين في المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيخاً دار المعرفة جدة، ط١/١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥) الألباني محمد ناصر الدين في صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط٣/١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦) حنبل الإمام أحمد المسند، دار الحديث القاهرةط١/١٤١٦هـ ١٩٩٥م، مسند عبادة بن الصامت.

رابعاً: العقيدة:

١) ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، دار الآثار، ط١/ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن سعيد الدمشقي المعروف، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتقدير، مكتبة الإيمان المنصورة القاهرة، ط١/١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل بتخريج آبي عبد الرحمن صلاح عويضه، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١/ ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤) البليهي الشيخ صالح بن إبراهيم، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط٣/ ١٤٠٩هـ.

٥) البيهقي أبو بكر أحمد بن علي بن موسى، كتاب القضاء والقدر تحقيق أبي إسحاق الثمودي/مجدي بن عطية، مكتبة ابن عباس (أبو أحمد بن الحسين)، بيروت، بدون ذكر الطبعة.

٦) الجبرين عبدالله بن عبدالرحمن في الإرشاد ،شرح لمعة الاعتقاد لابي محمد عبدالرحمن بن أحمد بن قدامة المقدسي تخريج محمد بن أحم المطيع، دار طيبة ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧) الحنفي الدمشقي أبو العز القاضي علي بن علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر المصري الطحاوي، تخريج شريف عبدالله ومحمد سعيد مع تعليقات أحمد شاكر والألباني والفوزان صالح ،دار ابن القيم، القاهرة، ط١/ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨) العثيمين محمد صالح في شرح العقدية الواسطية لشيخ الإسلام إبن تيمية، خرج أحاديثها سعد بن فواز الصمير، دار ابن الجوزي ط٤/ ١٤١٧هـ.

٩) العثيمين محمد بن صالح- تقريب التدمرية، تحقيق الاثبات للاسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع لشيخ الإسلام إبن تيمية تخريج سعيد بن عباس بن علي الجليمي، مكتبة السنة القاهرة، ط١/ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٠) العثيمين محمد بن صالح في القول المفيد لمحمد بن عبدالوهاب الجوزي السعودية ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ج٣/صـ٢١٤.

١١) القربي إبراهيم إبراهيم، اللباب في شرح العقيدة على القدر السنة والكتاب، دار الإيمان الأسكندرية ودار القمة بدون ذكر رقم الطبعة ٢٠٠٤

١٢) المصراتي د/ علي محمد وسيطة القرآن في العقائد بدون ذكر المطبعة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

خامساً: الثقافة:

١) الأشقر د/ عمر سليمان، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، دار النفائس، الأردن، ط١٠/ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢) باعباد أ.د/ علي هود الإسلام عقيدة وشريعة، الفصل الثاني من الكتاب النظافة في الإسلام، مكتبة الإرشاد، ط٧/١٤٢٠هـ ١٩٩٩م - ضمن مجموعة من المؤلفين.

سادساً: المعاجم:

١) ابن الأثير النهاية في تقريب الحديث، معجم مقاييس اللغة، كتاب القاف وباب القاف والدال.

٢) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت ط٣/ ١٤١٤ - ١٩٩٤. باب الراء فصل القاف.

٣) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة ط٣/١٤١٣ - ١٩٩٣م باب الراء فصل القاف.

سابعاً: الدوريات:

١) مصطفى عبد العزيز، مقال (وخلق كل شي فقدره تقديراً) مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي في لندن، العدد (١٢٨) ربيع الآخر ١٤١٩هـ.